مَعَاني النَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالرُّوحِ وَالقَلْبِ بين القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالعِلْمِ

محسن وهيب عبد
كربلاء المقدسة - العراق

فحوى البحث

بحث في الفلسفة التكوينية للإنسان الذي تقوم إنسانيته على تحقق معاني: النفس و العقل و الروح و القلب، و كيف تتراءى هذه الموصوفات من خلال العلم و القرآن الكريم.

و قد بسط السيد الباحث –بحكم تخصصه في هذا الميدان –معاني تلك المفردات، و خلص الى أن بحثه يمثل مقدمة لمعرفة المعاني بالتحديد كما يراها علم النفس ويؤازره القرآن الكريم المنزل من عند خالق هذه المسميات –جل اسمه –.

كما خلص الى أن معاني التكوين النفسي الانساني، الذي شرحه بالتفصيل، تكون مجدية جداً في دراسة صفات المعصومين عليهم السلام من الانبياء و الأئمة، مصدره الرئيس في كل ذلك: القرآن الكريم.

غالبا ما ياتي التشويش من الخلط بين اسماء ومعاني مكونات الانسان، فليس هناك ثبات لمعنى القلب والنفس والروح والعقل. وكل مفسر له ما يشاء من المعاني لهذه الاسماء، وهذا باب كبير جدا للعسف في التفسير، ولذا كانت هناك اهمية قصوى في تحديد تلك المعاني لاسمائها وفق القران نفسه، والعلم ظهير له، وضمن المنهج الذي درجنا عليه في تحديد المعاني لالفاظها، اي اننا نبدأ من القران وبالقران واليه، ولن تكون لنا رحلة من خارجه اليه الا باشارة معصومة.

وهكذا فكيان أو نفس الإنسان، وفقا للقران، يتكون من: المادة والحياة والروح، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [سورة ص: ٧١-٧٢].

الإنسان كما نراه كائن مادي حي يتميز بالحياة، ويتميز بحياته عن غيره من الأحياء بالعقل، والذي يعني بالتحديد قدرة الانسان على خيار فعله، فهو الكائن الوحيد المميز بهذه الميزة في حين أن ارقى الحيوانات يتصرف بالغريزة فقط. ولكن المادية والحيوانية بارزة فيه بخصائص المادة والأحياء، و بصورة متميزة بالحسن في الشكل والمضمون، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٤]، [سورة التغابن: ٣].

أما الروحانية؛ فالروح من أمر الله تعالى، وأمره محض الحسن، والحسن جامع لكل الصفات المسرة والمبهجة الجذابة، التي تبرز بوضوح في الإنسان عند كمال العقل واطمئنان النفس.. فهو الكائن الوحيد الذي يتذوق مضمون الجمال ويفعله ويبدعه وينجذب اليه.

وإن ملازمة العقل لوجود الروح، هي ملازمة ذاتية، وإن التفاوت في العقل بين الناس، يأتي من التفاوت في قوة الروح ونمائها في النفس، وإن ضعف العقل يلازم ضعف الروح وكمالُهُ بكمالها، وهذا يمكن ملاحظته بوضوح في كل نفس عن وجود الروح؛ ذلك لأن العقل هو ميزان النفس من مكونيها الحيواني والروحي، باعتبار

أن النفس هي الكيان الموحد لاندماج الروح بالجسد الحي (الدابّ)، ومثلما للحيوانية في الجسد الحي قواها وحاجتها وتوجهاتها؛ كذلك للروح، حاجاتها وتوجهاتها وقواها الإرادية نحو الأحسن.

وكلّ هذه القوى تجتمع في الكيان الموحد -النفس -فيكون للميزات الحيوانية ثقل في غرائزها وطاقتها الحيوية في جهة؛ كجزء من النفس الإنسانية، مقابل كون القوى الروحية لها ثقل لحاجتها وإرادة للحسن في توجهاتها في جهة أخرى من النفس في جزئها الآخر. فتبدو النفس في كلياتها؛ مجمعاً لقوى متعاكسة تقوم بعقلها (ربطها)، فلا بد أن ترجح كفة أحد الثقلين، فتتوجه النفس به ولكن توجهها يبقى (مربوطاً) بالثقل المعاكس وعلى قدر قوته.

فالعقل: إذن ميزان النفس الذي يتم به عقل (ربط) ثقل الحيوانية بثقل الروحانية، إزاء كل حاجة أو غريزة أو إرادة في الخير والحسن.. ولابد ان نشير هنا الى ان تسمية العقل في اللغة العربية جاء من باب تسمية الشيء باسم لازمه؛ فالعقل هو القيد او الربط.

ومن أجل تفصيل أدق لهذه المعاني في الروحانية والحيوانية في النفس، باعتبارها الكيان الإنساني الموحد لتلبس الروح بالجسد الحي، سنتناول بالتفصيل أجزاء النفس الإنسانية وكما يأتي.

اجزاء النفس الانسانية:

تتكون النفس الانسانية من جزئين رئيسين هما الداب والروح، وعلى التفصيل التالي:

١. **الدابُّ:**

وأقصد به الجزء الحيواني من النفس، ولقد استعرتُ هذا اللفظ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[سورة الأنفال: ٢٢].

وقد اضطررت لهذه الاستعارة السلطانية، لان احدا لم يسبق لتسمية الجزء الحيواني في التكوين الانساني فلابد من البيان. واقول (استعارة سلطانية)، لان الداب لفظ ياخذ سلطانه من معناه القراني، فإن الأنسان الذي لا تحصل عنده عملية عقل، يعني أن لا ثقل للروحانية

في نفسه، فنفسه مجرد دابّ، وهذا الصنف من بني البشر هم الذين سماهم القرآن الدواب.

إن الداب كأحد جزئي النفس؛ يتكون من الأقسام التالية:

أولاً: الذات الحية:

وهي الطين المتميز بخصائص ومميزات الحياة من التلقائية في الحركة والتغذي والنمو والتكاثر والموت... وهذا واضح من أقواله تعالى:

- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر: ٢٦].
- ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر: ٢٨].
- ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر: ٣٣].

فالذات الحية؛ هي مادة الجسد (الصلصال من الحمأ المسنون)[1] المتميزة بخصائص الحياة من التلقائية والحركة والتغذي والتنفس والنمو والتكاثر والموت، وتقع في ثلاث ذوات تتأصل فيها هذه الخواص وتنبع عنها الغرائز، وهي:

الذات الكيميائية: هي مادة الجسد في تصميمها التكويني الرباني وتفاعلاتها الكيمياوية، وقابليتها الكامنة فيها وتركيبها لخصائص الحياة ابتداءً بالخلية، فالنسيج، فالعضو، فالجهاز، فالجسد كله.

فالخلية الحية؛ هي أصل الذات الكيميائية في تصميمها المادي الرباني، وفي تفاعلاتها الموجهة بـ (DNA)، وفي قابلياتها الكامنة التلقائية، بكل ما يميز الحياة في الداب.

ففي نواتها تكمن شفرة الحياة وكل المورثات للصفات وتوقيتات النشاط الحيوي، ضمن تركيب الأحماض النووية المسماة اختصاراً (RNA) و(DNA)، وهذه الأحماض النووية صممها الخالق المبدع سبحانه البارئ المصور بدقة فائقة،

(١) والصلصال؛ هو الطين الصلب الأملس المتين، والذي تسمع له صلصلة إذا ضربته الريح، وفي الحمأ المسنون، مجاز عقلي لاندماج المادة في الطاقة في خلق ادم، وهي= =إشارة لفرط حساسية الخلقة واستجاباتها للأفعال من حولها.

وبتقديرات محسوبة بصرامة، بما يحقق كل وظائفها بشكل موقوت ومقدر بدقة وعلى الوجه المطلوب.

النسيج: هو مجموعة خلايا متشابهة، تؤدي وظيفة كيميائية محددة في العضو المعين، الذي يعتبر جزءً من الجهاز، الذي يختص بجانب من جوانب الحياة، فالجهاز الهضمي مثلاً يختص بالتغذي، والذي يتعامل كيميائياً مع الغذاء والماء، والجهاز التنفسي الذي يختص بالتنفس، الذي يتعامل كيميائياً مع تراكيب الدم وتفاعلاته، ثم يأتي العضو (الرئة) الذي يختص بالتنفس، الذي يتعامل مع الهواء كيميائياً مع تركيب الدم وتفاعلاته، ثم يأتي الجسد الذي يتشكل من مجموعة الأجهزة التي تشكله بتراكيبها الكيمياوية وتفاعلاتها.

فالذات الكيميائية؛ تبرز متكاملة فيما بين الخلية ونسيجها والأنسجة المكونة للعضو، ثم ما بين الأعضاء المكونة للجهاز، وفيما بين الأجهزة المكونة للجسد الحي. بحيث تتوجه كل التفاعلات الكيميائية من تلك الذات على أن بعضها يكمل بعضاً، ويكفل ذلك تصميم تلك الذات ونظامها وقوانينها. وعن هذه الذات تنتج الحاجة للطعام والشراب والهواء والنوم والحاجة لصرف الطاقة الناتجة من نشاطها الكيمياوي.

الذات الشحنية: وهي جميع أشكال الطاقة المرافقة للبناء المادي للجسد الحي للإنسان؛ من كهربائية ثابتة وكهرومغناطيسية ومجالاتها، ومن حرارة و(شحن) بكل صورهما، ابتداءً بالخلية فالنسيج فالعضو فالجهاز ثم كامل الجسد في ذاته الحية.

الذات الغريزية: وهي ناتج انسجام وتداخل الذاتين الكيمياوية والشحنية في وحدة الكيان التكوينية للجسد الحي وحسب تصميمه الرباني، فالذات الكيمياوية والذات الشحنية، يتداخلان في انسجام في وحدة الخلية، فتتميز بالتنبه والتحسس، ويتداخلان في النسيج، فيتميز بالاستجابة، وينسجمان في العضو فيتميز بالتوجه، وينسجمان في الجهاز فيتميز بالفاعلية، وينسجمان في الجسد

الحي فيتميز بغرائز الحياة وخصائصها.

ثانياً: الدماغ والحواس:

يمثل الدماغ بتصميمه الرباني المتميز في مادته وفي تركيبه الجزيئي وفي هندسته وارتباطاته، جهاز السيطرة والتوجيه لكل أفعال الذات الحية وأنشطتها، ومن خلال الحواس المرتبطة به مباشرة، يمثل الدماغ جهاز موازنة بين الذات الحية في الداب بحاجاته وطاقته وغرائزه وبين محيطه وبيئته، إذ أن الحواس الخمسة واسطة لنقل المجريات والأحداث الخارجية إلى الذات الحية.

٢. الروح:

الروح: جوهر قوة لابَسَ البناءَ الماديَّ الحي، وهي قوة من أمر الله تعالى، يرتفع بها القصوران الذاتيان المادي من المادة والحيوي من الحياة. ليكون منه مخلوقاً اكثر كمالا قادرا على خيار فعله وهو البشر.

وبارتفاع قصوره بالروح جعله الله تعالى خليفة في الأرض على جميع مخلوقاتها، فأمر الله تعالى محض الحسن، والحسن في امر الله بمعانيه الربانية مشتق من صفات الله تعالى الحسنى.

لذا فالآدمي الذي تتجلى فيه الروح التي نفخها الله في خلقته، انما تتجلى فيه من الصفات الحسنى ما يجعله لائقا بمعاني الخلافة لله في الارض، وعند اكتمال ارتفاع القصور يكون النموذج المصداق لمعنى الخلافة، وهو الامام الحق العادل.. فالمخصوص بالخلافة من البشر هو المعصوم عن القبح وليس الذي ردّ إلى أسفل سافلين.

ومثلما رأينا بروز الدابِّ بصفات الحيوانية من خصائص الحياة وغرائزها وطاقاتها، كذلك فإن الروح تبرز بخصائص الروحانية من أمر الله تعالى في كل حسن، وفي إرادة متجلية في الإنسان لكل ما هو حسن للتعلم وللعلم، ومثلما يكون هناك من البشر دواباً فإنه يكون منهم روحانيون لغلبة أمر الله في خلقه بعض المختارَيْن من الناس وهم المعصومون.

وكما أن الدماغ يمثل جهاز سيطرة وتوجيه وتوازن في الدابِّ وهو جزء منه، كذلك فإن النهى في الروح يمثل جهاز سيطرة ورقابة وتقويم للإرادة

الإنسانية وتوجهاتها.

ومثلما تكون الحواس نواقل الوسط ومجرياته إلى الداب عن طريق الدماغ، كذلك تكون البصيرة نافذة الروح إلى مجريات الواقع من الوسط.

ويمكننا أن نلاحظ بروز الإرادة الروحية عند الإنسان في ثلاثة أمور:

أ. **الإرادة:** هي قوة من أمر الله توجه الإنسان لأمر الله، وبما أن أمر الله محض الحسن، فالإرادة هي كل ما يوجه الإنسان إلى الحسن من الفعل والقول، وتبرز بادية فيما يلي؛ مع ملاحظة أن الإرادة هي قدرة النفس على الفعل بما يميزها عن الحاجة، كون الحاجة؛ هي نقص في القدرة على الفعل تطلبه النفس بهذا المعنى (لسد النقص).

أولاً: إرادة التعلم:

وتبدو عند الإنسان في ثمانية أنماط نفسية لايخلو منها احد، ويستشعرها كل احد، يتكرر بها طلب العلم من قبل كل شخص واضحة في:

أ. **نمط التسليم:**

التسليم: هو توجه النفس للقبول بوجود اسم إزاء كل معنى يقابله، ولذا فالتسليم أساس كل معرفة، ولا تصح أية معرفة إلا بدقة التسليم باعتباره بداية العلوم والمعارف كلها، ولو أن التسمية فقدت الدقة باستعمال الأسماء لمعانيها، فإن معارف النفس تصبح كلها مشوشة، وتمتد حتماً إلى المعرفة الإنسانية ككل.

ب. **نمط التعليل:**

ينشط التعليل بهدف معرفة الأسماء بالتسليم، وتصير المعرفة باستدعاء الحادثة عن طريق إيجاد علتها، أو باستبعاد الحادثة عن طريق استبعاد علتها، وغاية هذا النمط أن تبلغ النفس العلل العمومية في الحوادث، أو تبلغ العلة الأم في كل الحوادث، وهي معاني الرحمة الواسعة أصل في الكون، وحيث تبلغ النفس غايتها في الاطمئنان، تصبح هي نفسها من معاني الرحمة.

ويبرز في تكرار إرادته (أي الإنسان) لمعرفة السبب أو العلة، إزاء كل حادثة تقابله في واقعه الذاتي والبيئي.

ج. **نمط التصديق:**

تنتج عن نمط التصديق معرفة الحقائق: وهي تتمثل في صياغة تعابير بطرق مختلفة ولكنها تبرز معاني الثبات في الواقع، عن علاقة المعاني بالعلل، أو من استدعاء العلل بالعلل، ويحصل التصديق من إمكانية ربط المعاني بالعلل أو من أبطالها بعضها ببعض استناداً إلى واقع الحال في التصديق أو عدمه. لأن غاية نمط التصديق، هو أن تبلغ النفس العدل، وترتب الجزاء عند تجاوز العدل، وهو بلوغ النفس معاني الاطمئنان الذي تستقر عنده النفوس، وتبلغ النفس غاية الاستقرار مع إمكانها تجسيد الحق في الواقع، وهو العدل.

ويبرز في تكرار إرادة الإنسان معرفة الحق والعدل في مجريات واقعه.

د. نمط التفاضل:

ويبرز واضحاً في تكرار إرادة الإنسان لمعرفة المعيار أو الميزان الذي يبلغ به الأحسن والأفضل في خياراته من بين المتغيرات في ذاته وفي واقعه. التفاضل: هو التوجه لمعرفة الأفضل والأحسن، بمعرفة المعيار أو المقياس اللازم لعملية المفاضلة طبقاً لمعاني الحسن الرباني، وتحصل المعرفة وفق هذا النمط من إمكانية المفاضلة المعيارية بين المعاني وبين المعاني والعلل المتعلقة بتلك المعاني وحقائقها، فبالمفاضلة المعيارية الدقيقة نصيب الحسن ونتجنب القبح، ومنها نتوجه إلى الأفضل وبها ندرك الأحسن في كل المعاني.

فغاية نمط التفاضل والمعرفة المترتبة منه، هو أن تبلغ النفس النموذج الأحسن في كل خلق، وإذا كان الآدمي، وبكل المعايير هو أفضل مخلوقات الله وأحسنها، فغاية المعرفة بهذا أن تبلغ النفس معرفة أحسن الآدميين وهو الإمام المعصوم أو خليفة الله بالحق في أرضه بمعايير الحسن الرباني، فعند ذلك تستقر النفس وتطمئن، وغاية الاطمئنان فيها هي إما أن تكون هي بذاتها الإمام، كنموذج أحسن لخلق الآدميين، أو أنها تملك المعرفة المعيارية لتستدلّ عليه.

ه. نمط التجريب:

ويبرز واضحاً في تكرار إرادة الإنسان للمرور بالتجربة في كل ما يبتلى به متسلحاً

بالصبر ليبلغ كنه مجهولها؛ فالتجريب: هو نمط التوجه لابتلاء الأشياء لمعرفة أحسنها، ولكي تكون المعرفة ثابتة بهذا النمط إذا استندت إلى معاني الحسن الرباني الثابتة، حيث تنتج بهذا النمط معرفة القوانين وإيجادها وتطبيقها بالتجربة، وتصير المعرفة بالتجريب أكثر دقة، لأن التجريب بلاء تمر من خلاله النفس إلى حالة أكثر استقراراً في سعيها إلى الاطمئنان. فغاية التجريب أن تحكم سُنَّة البلاء الحسنة النفوس لتصبر ولتلزم الصبر، وما دام البلاء سنة كونية دائبة فلا تبلغ النفس الأحسن إلا إذا كانت أصبر ولها قدرة على التحمل فيه..

و. نمط الإيمان:

ويبرز واضحاً في إرادة الإنسان لمعرفة ما في الغيب إزاء حتمية الموت كواقع لا مفر منه، وما بعد الموت غيب.. الإيمان: هو التوجه النفسي لمعرفة الحدود الأساسية لقيام السنن الكونية الحسنة، وتنتج عنه معرفة الحدود، سواء كانت زمانية، مثل حدود عالمنا الأرضي، أو الحدود في العوالم الأخرى، ولذا فلولا هذا النمط في النفس لما كانت لنا معرفة في حقائق الغيب من مصادرها، مثل حقائق ما بعد الموت في البرزخ والقيامة والحساب والحياة الأخرى بثوابها وعقابها، بل وحتى في عوالم الدنيا من غير الأرض مثل عالم أضداد المادة: (Antimatter) وعالم الثقوب السوداء، ينعدم الزمن أو يتغير مقياسه في عوالم أخرى.

وتبلغ النفس غايتها في الاطمئنان عندما تصبح عندها حقائق الغيب بمثل واقعها الغيبي لأن هذه الحال التي تبلغها النفس تكون رقيباً ذاتياً منها في كل ما يصدر عنها استعداداً للقاء ذلك الواقع.

ز. نمط التعميم:

ويبرز في تكرار إرادة الإنسان في توحيد القوانين إزاء وحدة الثوابت الكونية ووحدة الشروط وترابطها.. التعميم: هو التوجه النفسي لتوحيد المعاني في النظام، والعلل في أمهاتها، والحقائق في قوانينها، والمعايير في أصلها، والقوانين في أعمها، وتنتج

عن هذا النمط معرفة السنن الحسنة في الكون ومواضع نفاذها وتحكمها وكيفية تداخلها ومعانيه، وتصير المعرفة بالتعميم أكثر شمولاً وكمالاً، لأن سعي النفس بالتعميم، هو سعيها للتوحيد، ولذا فالنفس تبلغ غاية الحسن والاطمئنان عندما تصبح في ذاتها موحدة خالصة للواحد العلة الكلية والحق المبين والمحسن القديم.

ح. **نمط التكامل**: ويبرز في تكرار إرادة الإنسان للأحسن والأكمل إزاء معارفه وعلومه وعقله.

التكامل: هو توجه النفس لتقويم معرفتها بذاتها، ومنها تتوجه للأفضل والأحسن وتنتج عنه معرفة النفس لذاتها بداية التكامل. ولذا فإن المعرفة بهذا النمط تعني كل ما يدعو النفس إلى الأحسن، فغاية التكامل في المعرفة هي أن يعرف الإنسان في نفسه المعاني والعلل والحقائق والمعايير الحسنة والقوانين والسنن الحسنة في مهام المعصومين من الأنبياء والأولياء و الرسل، حيث يكمن واقع اطمئنان النفوس. ولذا فإن نفوس الرسل، هي بذاتها مواقع الاطمئنان للنفس البشرية والنفوس المتأسية بها تتكامل بالدعوة للأحسن بما ينطبق مع مهام الرسل، أو بما يرضيهم لأن نفوسهم إنما تكاملت بالوحي الرباني الذي رفع القصور عن عقولهم، والوحي المحفوظ في الكتاب والأئمة المعصومين معاً من أجل التكامل في النفس حتى غايتها في بلوغ الأحسن، وتجنب الخطأ.

ثانياً: إن آفاق التعلم هذه في الإنسان والبارزة عن وجود إرادته الروحية تنفتح عنها العلوم الظاهرة التالية:

أ. معرفة المعاني للأشياء، وتنتج عن نمط التسليم في التعلم.

ب. معرفة الأسباب والعلل للحوادث، وتنتج عن نمط التعليل في التعلم.

ج. معرفة الحق والعدل في مجريات الواقع لصدق ثوابته، متمثلاً في ثوابت النسب بين المعاني وبين المعاني والعلل التي لا تظهر في صياغة الحقائق، وتنتج عن نمط التصديق في التعلم.

د. معرفة المعايير في خيار الأحسن، وتنتج عن نمط التفاضل في التعلم.

ه. معرفة القوانين، وتنتج عن نمط التجريب في التعلم.

و. معرفة الغيب فيما بعد الموت، وتنتج عن نمط الإيمان في التعلم.

ز. معرفة السنن في الكون، وتنتج عن نمط التوحيد في التعلم.

ح. معرفة المعرفة في الأحسن والأكمل، من خلال تتبع المسيرة الكبرى للكون، في سريان الانماط والسنن، وتنتج عن نمط التكامل في التعلم.

والحقيقة هي أن إرادة التعلم قد وقعت في ما بدت به من أنماط نلاحظها، إنما هي سنن تكوينية في خلقة البشر استجابة لسنن المحسن سبحانه في الكون كله، وإن وقوع إرادة الروح في عدة أنماط إنما تفسر استجابة الإرادة التكوينية للسنة الكونية ويبرز ذلك واضحاً في ثمانية أهداف للروح التي من أمر الله تعالى، يسعى بها الإنسان استجابة للسنن الحسنة في الكون.

ثالثاً: السنن التكوينية:

ملخص للأنماط التعليمية في النفس والمواضيع المتغيرة التي تتحرك عليها، والوسائط الثابتة في كل نمط، والعلم المحصل به والإرادة الحسنة التي تدفع به النفس للتوجه للعلم، ندرجها في ملخصة في الحقائق التالية:

- إن الطاعة كسنة كونية، تنعكس في نفس الإنسان بنمط التسليم التعلمي، تتحرك النفس الإنسانية بهذا النمط على كل الأشياء في حياة الإنسان(بين المعنى والاسم المقابل)، فتسلم النفس بأسماء لمعاني الأشياء، وعلى نمط التسليم هذا تنشأ في النفس وكتوجه للهداية التكوينية[٢]؛ إرادة الطاعة.
- ومن الرحمة كسنة تكوينية، ينعكس في نفس الإنسان، نمط التعليل التعلمي، تتحرك النفس بهذا النمط على متغيرات الحوادث، لتبلغ الآثار والمسببات والعلل لتلك الظواهر، فتحصل على المؤثرات والأسباب

(٢) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[سورة طه: ٥٠].

والعلل، وعلى نمط التعليل ينشأ في النفس الإنسانية توجه للهداية التكوينية؛ بإرادة الرحمة واللطف، والسعي لتحقيقها، من خلال السلوك القولي والفعلي.

- ومن سنة الحق والعدل التكوينية، ينعكس من نفس الإنسان؛ نمط التصديق التعلمي، تتحرك النفس بهذا النمط على المتغيرات بين المعاني، وبين المعاني والعلل، وبين العلل ذاتها، من خلال ثوابت النسب بينها، لتبلغ الحقائق، ثم لتصاغ وتعلم، وعلى هذا النمط تؤسِّس النفس الإنسانية توجهها للهداية التكوينية، بعد معرفتها الحق لإقامة العدل.
- ومن سنة الإمامة التكوينية، ينعكس من النفس الإنسانية نمط التفاضل التعلمي، تتحرك النفس بهذا النمط على المتغيرات بين الحقائق بثوابت المقاييس والمعايير، لتبلغ القوانين، التي تتحقق الهداية التكوينية من خلال تطبيقات تلك القوانين في الواقع.
- ومن سنة الموت التكوينية، ينعكس من النفس الإنسانية، نمط الإيمان التعلمي، تتحرك النفس بهذا النمط على متغيرات القوانين بثابت حتم الموت، لتبلغ علم الغيب، والذي به تتحقق الهداية التكوينية عن العالم الآخر ومجرياته.
- ومن سنة الابتلاء التكوينية، ينعكس عن النفس نمط التجريب التعلمي، الذي تتحرك به النفس على متغيرات القوانين والتجارب الشخصية الخاصة، بثوابت الصبر والتحمل والعزيمة، لتبلغ السنن الكونية، والتي بها تتحقق الهداية التكوينية، لمحصلات البلاء والابتلاء وتحقق الرسالة من الخلق.
- ومن سنة التوحيد التكوينية، ينطلق من النفس الإنسانية نمط التعميم، الذي منه ينطلق الاستقراء والاستدلال، حيث تتحرك به النفس على متغيرات السنن، بثوابت الكون (ثوابت الأسماء، وثوابت العلل، وثوابت النسب، وثوابت القياس،

وحتم الموت، وثوابت العزيمة، وثوابت السنن، وثوابت الزمان والمكان) لتبلغ الوحدانية، والتي بها تتحقق الهداية التكوينية العاصمة.

- ومن السريان (سنة السعي للكمال) التكوينية، ينطلق من النفس الإنسانية نمط التكامل التعلمي، والذي به تتحرك النفس على متغيرات المعرفة في كل الزمان والمكان بثوابت الوحي والبينات المنزلة (القرآن)، لتبلغ الهداية التكوينية الكمال، لتي تحققت في الرسول محمد صلوات الله عليه وعلى آله، كآخر نموذج لكمال النسق الكوني لآخر نمط للكون والكينونة.

ب. النهى والبصيرة واللب:

١. **النهى**: جزء الروح الذي يظهر من خلال السيطرة والتوجيه لإرادة الإنسان في التعلم والعلم ولقوتها في إرادة الحسن بمعانيه الربانية، والنهى في الروح يقابل الدماغ في الداب ويتلبس به.

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ [سورة طه: ٥٤].

في الآيتين مطلب واحد؛ هو الاعتبار بما خلف الإحساس، فمثلما يوازن الدماغ ويسيطر على التأثيرات، بين النفس وما تنقله البيئة إليه عن طريق الحواس، فإن أهل النهى يعيدون الإحساس إلى ما وراءه؛ باعتبارها، آيات لله تعالى في خلقه.. أي لا يكتفون بالإحساس، بل لهم خلف الإحساس ما يستفيد منه ويوجهه.

١. **البصيرة:**

فهي نافذة الروح على الذات والبيئة، وقد سمى القرآن الآيات التي تسلط الضوء على الحقائق (بصائر)، والوحي من سنخ الروح، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة الأعراف: ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[سورة القصص: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٠].

فقد جعل الله تعالى البصيرة سبحانه؛ قائمة من الروح على كل نفس، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[سورة القيامة: ١٤].

والبصيرة؛ هو ما يستفيده الإنسان من وراء البصر، فالخروف مثلا؛ خلف باصرته، غريزة وكرش فقط، أما خلف باصرة الإنسان؛ فبصيرة ووعي، يتفاوت بها الناس، ولذا قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[سورة الحج: ٤٦].

٢. اللب:

فهو حافظة النهى وجزؤها. كما تكون الذاكرة حافظة الدماغ وجزئه إلا أن حافظة اللب تختص بحفظ معاني الحسن الرباني، مثلما تختص الذاكرة بحفظ المعاني المادية، وها المعنى واضح من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[سورة الزمر: ١٨].

للنفس وجود متميز:

يدرك وجود النفس المتميز، متمثلا بالمصاديق الإنسانية، فكل فرد منا هو نموذج لنفس، هكذا نجد في القران الكريم، فحيثما وردت لفظة النفس، كان القصد بها الفرد (المصداق الإنساني).

إن الروح من أمر الله تعالى نفخها الله تعالى في خلقة البشر فرفع بها القصور الحيوي الذاتي في حيوانية البشر وصارت بذلك النفس الإنسانية متميزة بالعقل على باقي المخلوقات. وكان العقل أحب ما خلق الله تعالى إليه سبحانه كما تنص على ذلك الروايات.

والعقل من النفس الإنسانية سمي عقلاً لأنه يعقل (يربط). بقوة الإرادة الروحية وهي محض الحسن، يربط

الطاقة الحيوانية وغرائزها في الداب بمعاني الحسن الرباني، والحسن الرباني يتجلى واضحاً في العبادة والدعاء. وطلب الرحمة وفعلها، وفي السعي للحق وتجسيده في الواقع عدلاً، وفي التطلع للإمامة والتأسي بها، وفي الصبر على الطاعة وعن المعصية، وفي التوجه للتوحيد، وفي السعي نحو الأحسن والأفضل دوماً. ونحن نعرف العاقل من خلال فعله لهذه المعاني الحسنة بل وتزكوا النفس بهذه المعاني الروحية بمقدار ما تتميز به منها.

فالروح لابست أصلاً تكوين الإنسان المادي، لتكون النفس مصداقاً لمفهوم الإنسان الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض، فالنفس هي التي أنشأها الله تعالى، وهي التي يتوفاها في الموت، وهي التي ينقلها سبحانه إلى عالم البرزخ، وهي التي تحشر، وهي التي تحاسب، وهي التي تتلقى الثواب والعقاب. وذلك واضح في صريح أقواله تعالى فهي تعبير عن المصاديق الانسانية:

أ. **في الخلق والنشأة:**

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[سورة الأنعام: ٩٨].

ب. في الموت:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [سورة الزمر: ٤٢].

ج. **في الحشر:**

﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [سورة ق: ٢١].

يقول الإمام علي عليه السلام في هذه الآية: (سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها)[٣].

﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾[سورة الانفطار: ٥])

د. **القيامة:**

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾[سورة الأنبياء: ٤٧].

ه. الحساب والجزاء:

﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٤][سورة آل عمران: ١٦١].

(٣) نهج البلاغة؛ محمد عبده؛ الخطبة –٨٣.

(٤) ومكررة في سورة البقرة.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[سورة آل عمران: ٢٥].

إن الروح هي من أمر الله تعالى، وأمر الله تعالى محض الحسن الذي نفخه الله تعالى في المادة الطينية، فميز به البشر ورفعهم به ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ فمن شاء من تلك النفوس ارتفع ذاته بمعاني الحسن الرباني، ومن لم يشأ منها رد إلى أسفل السافلين.

فالنفس خلاصة اندماج المادة الحية بالروح، وكل منهما من عالم، وبعد الموت لا يبقى منهما شيء إلا ما علق بالنفس وصار جزءاً منها. لذا فهي (النفوس): نفوس أمارة بالسوء، ونفوس لوامة، ونفوس مطمئنة كنفوس الصالحين والمعصومين مميزة بمهام الروح، حتى لكأن النفوس أرواح، بل هي أرواحهم.

ومثلما تتلبس الروحُ الدابَّ، فإن اللب يتلبس الذاكرة، وتجد ذلك واضحاً حيثما يرد معنى اللب في آيات القرآن الكريم. وهو قيد المعاني الحسية المنقولة إلى الذاكرة بالمعاني الحسنة للروح التي هي من أمر الله تعالى.

العلم:

فهو نتاج المطابقة للأنماط التي تنتج عن وجود عدد محدد وثابت من السنن التكوينية في كيان الإنسان مع مثيلاتها من أنماط الخلق في الكون التي تنتج عن تحكم ومضاء السنن الحسنة فيه وهي أيضاً محددة وثابتة.

العقيدة:

هي المعرفة التي حصلت بنمط التسليم لإرادة الطاعة لسنة المربوبية التكوينية بالمطابقة مع نمط الطاعة في سنة المربوبية الكونية، وهي عقيدة الغالب من الناس، أو هي معرفة حصلت بنمط الإيمان لإرادة الحياة الأخرى لسنة الموت التكوينية مع المطابقة مع نمط الموت لسنة الكون، وهي عقيدة القلة المقومة بالكتاب والعترة المعصومين عليهم السلام لذا يلحق بأجزاء الروح في الكيان الإنساني، اللب والعلم والعقيدة، فنجد في الجزء الروحي من الكيان الإنساني: أن النهى في الروح يقابل الدماغ في الداب، وإن البصيرة في الروح، تقابل الحواس في الداب. وإن النهى هو جهاز سيطرة وتوجيه

وتقويم لنشاط الأنماط والمعارف المترتبة عنها، والغايات الحسنة للإرادة والتي بلغها الآدمي من جهة وبين الأنشطة الفكرية والعقلية اللاحقة للآدمي، إذ من خلال النهى يتم تنفيذ الإرادة في التعلم والمعرفة، وفي بلوغ غايات الروح الحسنة، وكلها حسنة لأنها من أمر الله تعالى.

وللنهي حجم ينمو بنمو المعارف التي يكتسبها الآدمي وبمقدار الغايات التي يحققها من خلال إرادة الحسن في روحه.

وكذا وبمقدار ما تكون عليه الحواس من قوة أو ضعف في الجزء الداب من الإنسان كذلك تكون البصيرة بدرجة من القوة والضعف في الجزء الروحي للإنسان –فهي (البصيرة) الإدراك الذي ينمو من وعي حصل عليه الآدمي من نشاط أنماط تعلمه، والذي يسقط الحجب عن المعاني والعلل والحقائق والمعايير والقوانين والسنن، فقويت متابعته لذاته وكان منه له رقيب يقومها، تلك هي البصيرة. لذلك فمن معاني الكمال الإنساني ومن موجبات العصمة لتمام معنى الخلافة أن يتمتع المعصوم ببصيرة تامة النفوذ.

ج. النفس المفهوم:

النفس: هي الكيان الموحد التي تندمج فيه الروح بالدابِّ، ففي مفهوم الإنسان لا معنى للداب ولا للروح، لأن مصاديق الإنسان هي الأنفس، وإن كلّاً منا نفس، وكل نفس هي نتاج اندماج ما نما من الجزئين فيها. فالنفس هي مصداق مفهوم الإنسان.

فالداب؛ الذي نفخت فيه الروح، فتلابسها وتلابسته هو النفس لكل فرد، والدماغ والنهى متلابسان في السيطرة والتوجيه للنفس، والذاكرة واللب يتلابسان في عملية التذكر في النفس، والحواس والبصيرة يتلابسان في نقل الواقع الذاتي والبيئي إلى النفس، والعلم يتلابس العادات في النفس، والعقيدة تتلابس التقاليد في النفس.

للنفس وجود واقعي يتمثل فيما نراه يومياً من كل فرد من أفراد البشر، وهو النشاط الحيوي الإرادي للفرد الإنساني، والنشاط الحيوي، هو خلاصة وجود

الداب، أما الإرادة المتميزة بفعل الحسن والتوجه للأحسن، فهي خلاصة وجود الروح، التي هي من أمر الله تعالى، وقد قلنا إن النفس، هي نتاج تلبس الإرادة بالنشاط الحيوي لكل فرد من أبناء الإنسان.

وهذا الوجود الواقعي المحسوس للنفس (النشاط الحيوي الإرادي للفرد- مصداق الإنسان)، ينتهي عند النوم، وعند الموت في كل فرد إنسان، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٤٢].

إن الفرق بين النوم والموت، هو أن واقع النفس عند النوم يتعلق ويبقى مرسلاً، أما في الموت فينتهي ذلك الواقع بإمساكه تماماً مع كل ما يعنيه الإمساك من قبل الله تعالى للنفس من أجل نقله إلى نشأة أخرى باتجاه البرزخ والقيامة والحساب والحياة الأخرى بثوابها وعقابها. فالنوم والموت خلق من سنخ واحد يترتب على قيام كل نفس، وآلية كل واحد منهما تعتمد على الوجود الواقعي للنفس إرسالاً وإمساكاً من الخالق سبحانه.

فالنوم، يحصل من توقف النشاط الحيوي والإرادي معاً في النفس، وهما، واقعاً، ناتج تلبس الداب والروح والمعبر عنه بالنفس، وإن غياب نفس البشر مع كونها معلقة أو مرسلة عند النوم، وهو نوع من التوفي فيما يعنيه من غياب النفس عن الحضور والفاعلية الإرادية.

فطبيعة الآلية للنوم تحصل بشكل نمطي لكل إنسان كنتيجة حتمية للنشاط الحيوي الإرادي اليومي، والنشاط الحيوي اليومي محمول على الطاقة الناتجة من حرق الغذاء في خلايا الجسم، حيث يتحرك ويعمل وبها تتم العمليات الحيوية الداخلية، أما الإرادة فتأتي من وجود الروح ومحمول أوامرها على الأعصاب إلى أي جزء من الجسم لتوجِّههُ بحكمها وبها قضت به، وتكون الطاقة الحيوية الناتجة من الداب طوع تلك الإرادة، بحكم التلبس بين الداب والروح، إذ هما

شيء واحد هو النفس، وما تبرزه النفس للواقع المحسوس والمدرك، هو النشاط الحيوي الإرادي.

يحصل النوم عند تراكم منتجات الحرق الغذائي المجهز للطاقة في النشاط اليومي للداب وبعد نفاذ الإرادة في توجيهه مواد كيميائية تسمى (كيتوجينك)، وحامض اللبنيك تتجمع وتبقى تتجمع في خلايا الجسم، وعند حد معين يشكل وجودها ضغطاً على الذات الشحنية، وبالتالي على الذات الكيميائية يتولد عنه فعل معاكس للفعل الحيوي وحسب قاعدة (لوشاتوليه) في التوازن، يمتنع العصب عن قبول توجيهات الإرادة وتتوقف التفاعلات المنتجة للطاقة اللازمة للنشاط الحيوي معاً. أي أن النفس في وجودها الواقعي علقت (بقيت مرسلة) حتى يتم تصريف النواتج الكيتونية وحامض اللبنيك من خلايا الجسم، وحتى تنفرج المتغيرات في قانون التوازن الصالح فعل الذات الشحنية التي تسوغ للذات الكيميائية الفعل الحيوي الموجه بالإرادة مرة أخرى، عندها تعود النفس لواقع وجودها، فنقول استيقظ النائم بمباشرته لنشاطه الحيوي والإرادي، هذا هو خلق النوم، أما خلق الموت، فيختلف عن النوم بكونه التوفي مع الإمساك للنفس، فالتوفي بالموت يتعدى الإرسال وتعليق النفس إلى إمساكها عند الله تعالى ونقلها على عالم آخر ونهايتها من العالم الدنيوي، فيتعطل بذلك الإمساك فعل الداب الذي كان يتلبس الروح فيه نفسا فصير مجرد جثة هامدة في الموت.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سورة تبارك: ٢].

إن الإنسان في عالم ما قبل النطف في الأصلاب موات، فاذا صار نطفة انتبه، وهو في مسالك تحت الأصلاب في ضيق شديد فاذا نزل إلى عالم الأرحام وجده فسيحاً جداً نسبة لما كان فيه.

والناس في عالم الأجنة في الأرحام نيام، فاذ ولدوا إلى الدنيا وعالمها الفسيح بالنسبة لعالم الأرحام انتبهوا.

والناس في عالم الدنيا نيام إذا ماتوا

انتبهوا في عالم البرزخ الفسيح بالنسبة لعالم الدنيا.

(الناس في الدنيا نيام إذا ماتوا انتبهوا)

الإمام علي عليه السلام.

والناس في عالم البرزخ نيام إذا قامت القيامة انتبهوا لعالمها الفسيح بالنسبة لعالم البرزخ:

﴿ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا ﴾[سورة الأنبياء: ٩٧].

﴿ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[سورة الأعراف: ١٧٢].

والناس في عالم القيامة نيام، إذا دخلوا الجنة أو النار انتبهوا في عالم فسيح بالنسبة لعالم الحساب والقيامة.

﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾[سورة ق: ٣٠].

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾[سورة آل عمران: ١٣٣].

فالنفس هي حالة موحدة تماماً لوجود الروح في الداب، والتفاوت بين الناس في أنفسهم إنما يأتي من التفاوت في حجم النماء لكل جزء من قسمي النفس، على أساس أن النفس هي محصلة اندماج الروح في الداب، بما يجعل كل نشاط ظاهراً للآدمي إنما هو حصيلة ذلك الاندماج بوحدة كيان واحد غير مجزأ، ولذا فنحن لا نلاحظ من النفس إلا أفرادها من بني الإنسان، تميزه آلية واحدة في التفكير وفي التعقل حسب تصنيف النفس.

فالنفس هي تعبير عن الفردية، فكل فرد إنما هو فرد بذاته لا يشبهه فيها أحد.

اذن فالنفس: هي جوهر متحقق من تلابس ما نما من الجزئين في كيان الإنسان، الداب و الروح.

أما العقل، فإنما سمي عقلاً لأنه يعقل(يربط) في النفس باعتبارها الكيان الموحد التي تجتمع فيه تيارات القوى المتصارعة: حاجات الداب الحيوانية و غرائزه بقوة الإرادة الروحية، و يعقل (يربط) حاجات الروح للتعلم و العلم و الحسن، بقوة النشاط الحيوي للداب، فالعقل هو ما يبدو لنا من كل نفس إنسانية، كانعكاس لواقع ميزان النمو لكل من جزئيها، لأن كل جزء من

الجزئين يتمتع بثقل قواه الموجهة للنفس ككيان موحد لهما، و من أجل الدقة في البيان فقد اسمينا الثقل الأول في ميزان العقل بقوتي الحاجة، كما أسمينا الثقل الثاني بقوتي السوق.

أما قوتا السوق فيتنازعان النفس باتجاهين متعاكسين، لأن كل منهما يطلب الاستجابة لذاته، و التي هي في الجانب الآخر من النفس، و كذلك قوتا الحاجة فيتنازعان النفس باتجاهين متعاكسين أيضاً، لأن كلاً منها يسوق النفس للاستجابة لذاته.

و هنا يبرز من النفس ميزانها، و هو العقل، وإنما سمي عقلاً لأن النفس تعقل كل تيارين يتنازعانها في المحصلة، و هي حاصل جمع القوتين إذا كانا في اتجاه واحد و حاصل الفرق بينهما إذا كانا في اتجاهين متعاكسين. ليخرج مقابل كل محصلة حكم عقلي من النفس، نلاحظه من خلال تعبيراتها اللغوية أو السلوكية.

و باعتبار أن النفس هي الجوهر المتحقق من اندماج ما ينمو من الداب مع ما ينمو من الروح في كيان الإنسان، فعلى أساس التفاوت في القوة و النمو لكل من الجزئين، قسمت النفس على ثلاث أقسام هي كما كتاب الله:

النفس الأمارة بالسوء:

هي التي لا نمو لقوة الإرادة الروحية فيها، فهي لا تشكل في ميزان العقل في تلك النفس ثقلاً مانعاً مقابل ثقل قوة الداب، لذا فإن الميزان بالعقل راجح دوماً لقوة الداب الحيوانية، و بالتالي فإن أحكام العقل في هذه النفس دوماً هو لصالح الاستجابة للغرائز و لصرف الطاقة الحيوية، فيتصرف الإنسان صاحب هذا النوع من الأنفس و كأنه حيوان. و هو ما يسيء إلى صفته الإنسانية و إلى رسالته التي كلفه الله تعالى بها على هذا الكوكب، فنقول إن نفسه أمارة بالسوء.

النفس اللوامة: و هي التي تنمو في كل من جزئيها قوة الإرادة الروحية و قوة الداب بشكل متوازن و متوازٍ، فهي في حالة صراع، بين ما يطلبه الداب و يسوقه و بينما تتطلبه إرادة الحسن فيها و ما تسوقه، و لذا يبقى ميزان النفس بالعقل

متأرجحاً، فمرة تغلب إرادة الحسن، و يصدر الحكم العقلي لمصلحة الروح، و مرة تغلب الغرائز، فيصدر الحكم العقلي للداب، فتحصل حالة لوم في النفس لعدم نفاذ إرادة الروح مع قوتها، فتسمى هذه النفس لوامة:

النفس المطمئنة: هي النفس التي تنمو فيها قوة الروح و إرادتها للحسن إلى الحد الذي تتفوق على قوة الداب و غرائزه، فميزان العقل فيها لمصلحة الروح (و هي من أمر الله تعالى) و كل الأحكام العقلية التي تصدر عن تلك النفس تقع في معاني الحسن، حيث أنها تصير مطمئنة بالمطابقة الكلية مع مضامين الحسن الكوني، مثل نفوس المعصومين عليهم السلام من أنبياء و أئمة عليهم السلام.

مركبة القلب:

القلب: هو حافظة النفس وجوهر مكنوناتها، مما تلبس من الدماغ بالنهى، واللب بالذاكرة، وعلم بالعادات، والتقاليد بالعقيدة، ومن مجموعة الأحكام العقلية المستقرة في المعرفة ومن مجموعة الأحكام العقلية التي لم تبح البيئة للنفس من التعبير عنها (العقل والباطن).

وقد ميز القران بين القلب والفؤاد في اية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة القصص: ١٠].

ففؤادها عليها السلام من شدة الخوف وسرعات الضربات التي يقتضيها الموقف الانفعالي منها كان يكاد يفرغ من الدم، ولكن الوحي ربط على مكنون نفسها (قلبها).

فالقلب وعاء النفس الذي يتلبس أعضاء الجسد في جوفه، مثل الفؤاد والكبد والحجاب الحاجز والرئة والكلية والمعدة والأمعاء في جانب الداب، مع العلم وانماطه وغاياته واللب والبصيرة والإرادة والنهى في جانب الروح، في حين ان اطمئنان القلوب لايرافقها ما يميز الانفعال.

ويبرز هذا واضحاً في كون الانفعال ليس له علاقة، بالعقل والتعقل، ولا بالإرادة، فمثلاً عندما تخاف النفس، أو تفرح، وقبل حصول أي حكم عقلي أو إرادي أو معرفة بمعاني ذلك الخوف

أو ذلك الفرح، تتوجه حركة الأعضاء النمطية للحجاب الحاجز، وينشط الكبد والكلى ويتوجه الدم في الخوف أو الفرح، وتتوجه الأعضاء الجوفية للداب نفسياً باتجاه مناسب لذلك الانفعال، فتزداد ضربات القلب، وتزداد الحركة النمطية للحجاب الحاجز، وينشط الكبد والكلى ويتوجه الدم في الخوف إلى الأطراف استعداداً للمقاتلة، في حين عند انفعال الفرح يتوجه الدم للوجه والرأس والصدر، تعبيراً عن ارتياح النفس، والقرآن الكريم يوجه إلى هذه الحقائق في كل الآيات التي تتيح لمعاني القلب البروز وإن التدقيق لمعاني القلب في القرآن الكريم، يلقي الضوء على كثير من المواقع المشوشة لمعاني الظواهر في علم النفس الحديث.

والقلب: هو جوهر كيان النفس في الإنسان، الذي ينشأ وينمو من مجموعة أحكام العقل النافذة في النفس، أو الأحكام الباطنة غير النافذة، (العقل الباطن)، ومن المعرفة والعقيدة والعادات والتقاليد. ولذا فانه مكمن العلم والمشاعر.

والقلب هو وعاء النفس وحافظتها، والذي ينمو بنمو مكوناته المذكورة، ولذا فله الثقل المحسوب في توجيه عمليات العقل (الربط) بين قوى الداب وغرائزه وقوى الإرادة الروحية وحاجاتها، ويتلبس القلب أعضاء الداب في جوفه.

والخلاصة: فكل هذا انما هو مقدمة لمعرفة المعاني بالتحديد لاسماء النفس والعقل والروح والقلب.. حيث نفس الانسان مادة وروح وعقل، فنفسه امتزجت وتعلقت بأمر خالقها، إذ الروح من أمر الله تعالى.. وأمر الله محض الحسن، والمعصومون، انبياءً وائمة، تجسيد للكمال الخلقة الانسانية فهمعليهم السلام معاني الحسن في خلق الناس، وهم علل الخلق وهم حق الخلق وهم غاية الخلق. وفي ذلك تفصيل يطول.

وللاشارة فحسب؛ فان معاني التكوين النفسي الإنساني التي شرحناها هنا بالتفصيل تكون مجدية جداً في دراسة معاني الزيارة الجامعة الكبيرة في وصف المعصومين.